Culture of Listening

ثَقَافَةُ الإِسْتِمَاعِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ (**يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)[1]. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،

أَمَّا بَعْدُ: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:(**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**)[2].

أَيُّهَا الْمُصَلُّونَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى الإِنْسَانِ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ:(**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**)[3]. وَمِنْ أَهَمِّهَا نِعْمَةُ السَّمْعِ، قَالَ تَعَالَى:(**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[4]. فَامْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ؛ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا، ثُمَّ رَزَقَهُمُ السَّمْعَ الَّذِي

---

(1) الأنبياء : 4.
(2) القمر : 54 – 55.
(3) النحل : 18.
(4) النحل : 78.

بِهِ يُدْرِكُونَ الأَصْوَاتَ، وَالأَبْصَارَ الَّتِي يُشَاهِدُونَ بِهَا الْمَرْئِيَّاتِ[1]. وَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ السَّمْعِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْمَرْءُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْتَخْدِمَهَا فِيمَا يُرْضِيهِ، لأَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْهَا، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:(**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**)[2].

:(**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**)[3].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ حُسْنَ الاِسْتِمَاعِ مِنَ الْقِيَمِ الْفَاضِلَةِ، وَالْعَادَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالسُّلُوكِيَّاتِ الْحَضَارِيَّةِ، وَهُوَ أَحَدُ عَنَاصِرِ التَّوَاصُلِ الصَّحِيحِ مَعَ مَنْ حَوْلَنَا، وَهُوَ يَعْنِي الاِهْتِمَامَ وَالتَّقْدِيرَ لِمَا يَقُولُهُ الآخَرُونَ. وَإِنَّ كَلاَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ρ أَوَّلُ مَا يَسْتَوْجِبُ الإِنْصَاتَ وَالتَّدَبُّرَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) فَاسْتَمِعْ لِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يُؤْمَرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يُنْهَى عَنْهُ[4].

وَكَانَ النَّبِيُّ ρ أَجْمَلَ النَّاسِ حَدِيثًا وَاسْتِمَاعًا، لاَ يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَفْرُغَ الْمُتَحَدِّثُ مِنْ كَلاَمِهِ، وَيُنْصِتُ إِلَيْهِ، وَيَتَفَهَّمُ رَأْيَهُ، فَكَانَ يَسْتَمِعُ

(1) تفسير ابن كثير :(590/4).
(2) الإسراء : 36.
(3) أحمد : 24195، وله شاهد في البخاري. والآية من سورة المجادلة : 1.
(4) حلية الأولياء :(130/1).

لأَزْوَاجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وَهَذَا الْهَدْيُ النَّبَوِيُّ يُعَزِّزُ ثَقَافَةَ الاِسْتِمَاعِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، مِمَّا يُقَوِّي الْمَوَدَّةَ بَيْنَهُمَا، وَيُرَسِّخُ الثِّقَةَ.

وَفِي الْمَجَالِسِ تَظهر ثَقَافَةُ الاِسْتِمَاعِ حَيْثُ يُنْصِتُ الْجَمِيعُ إِلَى الْكَبِيرِ، وَلاَ يُقَاطِعُونَ مُتَحَدِّثًا حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِهِ كَمَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ρ حِينَ جَاءَهُ عُتْبَة بْن رَبِيعَةَ فَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَلَمْ يُقَاطِعْهُ بِشَيْءٍ، فَلَمَّا فَرَغَ عُتْبَةُ قَالَ ρ :« **أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:« **فَاسْمَعْ مِنِّي**». قَالَ: أَفْعَلُ[1].

وَهَذَا الإِصْغَاءُ مِنْ حُقُوقِ الْجَلِيسِ، قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلاَثُ خِصَالٍ: إِذَا أَقْبَلَ وَسَّعْتُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَإِذَا جَلَسَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثَ سَمِعْتُ مِنْهُ[2].

وَلِلاِسْتِمَاعِ أَهَمِّيَّةٌ كُبْرَى فِي التَّعْلِيمِ وَسُرْعَةِ الْفَهْمِ، لِذَلِكَ حَثَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ρ عَلَى الإِنْصَاتِ لِلْخَطِيبِ فَقَالَ:« **مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَّلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةٍ: صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا**»[3].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة : 36560.

(2) تاريخ دمشق 137/21 ، والقائل هو سعيد بن العاص.

(3) أبو داود : 345 ، والترمذي : 496 واللفظ له.

فَاللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا،
اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلاَ تَدَعْ فِيْنَا وَلاَ مَعَنَا شَقِيًّا وَلاَ مَحْرُوْمًا.
:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)[1].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،
وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) النساء : 59.